العلاقة التكافلية بين التراث والمعاصرة: اليابان كدراسة حالة

الدكتور حسين شبكة *

مقدمة

لم يتمكن الوطن العربى حتى الآن – وعلى الرغم من المجهودات المستمرة لعلمائه ومفكريه وباحثيه – من تطوير إستراتيجية واضحة ومحددة للنهضة القومية ، أو من صياغة مشروع قومى متكامل تتحمس لتطبيقه الغالبية من سكانه. وأثبتت التجارب العلمية مدى ضآلة فرص النجاح المتوفرة لمحاولات محاكاة أو تقليد النموذج الغربى للتصنيع ، وعدم ملاءمة ذلك النموذج لظروف المجتمعات العربية. لذا فقد يكون من المناسب إعطاء قدر أكبر من الاهتمام البحثى لنموذج نهوضى آخر تم تطبيقه بنجاح فى ظل ظروف تاريخية وإجتماعية، قد تكون أقرب إلى ظروف المجتمعات العربية من تلك الظروف التى صاحبت تطبيق النموذج الغربى ، ووفرت له مقومات النجاح. ذلك هو النموذج اليابانى. ويمثل البحث الحالى محاولة مبدئية للإسهام فى تحقيق هدف التوصل إلى فهم أكثر عمقا لليابان ، بغرض دراسة إمكانية الاستفادة من التجربة اليابانية ، وذلك من خلال تركيز الضوء على بعض المفاهيم النظرية ، والمتغيرات السوسيولوجية التى يبدو لنا أنها قد تشكل المدخل المناسب لدراسة تجربة التحديث اليابانية التى مازالت- كما يوضح أحد الباحثين – " تمثل لغزا وهاجسا استحوذ على افئدة وعقول المفكرين العرب منذ بداية هذا القرن." (١)

اولا العنصر التاريخى

يمثل عام ١٧٩٨ وهو عام وصول الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت إلى مصر أحد المعالم البارزة فى تاريخ مصر الحديث. فقد كان ذلك التاريخ بمثابة الخط الفاصل الذى يحدد انتهاء حقبة معينة من تاريخ مصر والوطن العربى وبداية حقبة جديدة. وكانت عزلة العرب عن القارة الاوربية من اهم السمات التى اتسمت بها تلك الحقبة المنتهية ، إن لم تكن أهمها على الاطلاق. أما الحقبة الجديدة فإن من اهم ما تميزت به هو المواجهه المباشرة ، والصدام العسكرى، والحضارى بين الشرق العربى والغرب الاوربى ، والذى لا يزال مستمرا إلى عصرنا الحالى.

---

* استاذ مساعد بجامعة الامارات العربية المتحدة – بالعين (سابقا)

[مجلة البحوث والدرسات العربية ، العدد ١٩ ، ١٩٩١ – ص ص٢٦٣ – ٢٨٨]

كانت من اهم النتائج التى ترتبت على تلك الصدمة الحضارية أن أدرك العرب مدى الركود والتخلف الذى اصابهم منذ آخر لقاء لهم مع أوربا وانتصارهم عليها فى الحروب الصليبية ، ومدى التقدم الصناعى والتكنولوجى الذى حققه الغرب منذ ذلك الحين. وفتحت الحملة الفرنسية " عيون كل من اهل الشرق واهل الغرب ، على حد سواء على اوضاع غير مألوفة فى حياة الطرف الآخر " [٢]. فقد ادرك الشرق لأول مرة ما وصل إليه الغرب من " تفوق فى فنون الحرب " [٣] ، ومن إنجازات علمية كانت – على حد تعبير عبد الرحمن الجبرتى [٤] الذى عاصر الحملة الفرنسية – " لاتسعها عقول أمثالنا " [٥] . وادرك الغرب مدى الجهل والتأخر الذى اصاب الشرق [٦] الذى تجلى " تحجره الفكرى والاجتماعى " [٧] فى فشل قياداته بجميع مستوياتها فى التصدى للتحدي الاوربى بكفاءة ، أو حتى بواقعية أو عقلانية. فعلى مستوى القيادة السياسية مثلا ، إكتفى المماليك فى البداية " بإرسال قنطارين من البارود للإسكندرية"[٨] ظنا منهم أن ذلك سيكون كافيا لـرد الغزاة الذين كان مراد بك يستخف بهم و " يضحك عاليا ويقول أنه سيشرحهم كما يشرح الشمام " [٩] . وأما قادة االفكر من علماء ورجال دين ، والذين كان " يحترمهم الشعب البائس ويسمع لأوامرهم ونواهيهم ، [و] يسخرهم الحكام كيفما شاءوا " [١٠] فقد كانوا يجتمعون بالأزهر يوميا لقراءة " البخارى وغيره من الدعوات " [١١] فرت كل تلك القيادات الهزيلة بعد هزيمة المماليك وفوز الغزاة الأجانب ، وتركت الشعب ليواجه مصيره ومحنته بدون قيادة سياسة أو دينية . ولم يشعر كبار رجال الدين الذين كانوا – كما أبلغ مندوبوهم نابليون لدى طلبه لمقابلتهم قد " خافوا وهربوا " – [١٢] بمسئوليتهم تجاه الشعب المسكين الذى كان "في وجل وخوف على غيابهم " (١٣) ولم يفكروا فى العودة إلى البلاد إلا بعد أن تسلموا عدة مكاتبات تطمئنهم ، وتعدهم بالأمان ، وتزف إليهم نبأ تعهد نابليون بضمان سلامتهم و " راحتهم " [١٤]

لم يستقر نابليون طويلا فى مصر ، واضطرت الحملة الفرنسية إلى الرحيل عنها بعد حوالى ثلاث سنوات فقط من وصولها ، وعلى أثر فشلها فى إرساء دعائم الحكم الفرنسى بالبلاد. وفرح الشعب المصرى " فرحا كبيرا بخروج الفرنسيين الكفرة وعودة الاتراك والمماليك المسلمين ... فى الايام الاولى على الاقل ". [١٥] واعتقد العائدون " ان الأمور قد عادت بعودتهم إلى نصابها القديم. " [١٦] إلا أن الذبذبات التى ولدها مجئ الفرنسيين لم تتوقف برحيلهم وتوقفت مشاريعهم الإصلاحية [١٧]. فقد كان الشرخ الذى أحدثته صدمة الغزو الفرنسى فى الهيكل الاجتماعى ، وفى النسق القيمى السائد عندئذ ، من العمق بحيث لم تكن مجرد عودة النظام المملوكى القديم كافية لسد الفجوة بطريقة تلقائية.

كانت التساؤلات التى برزت إلى السطح من جراء تلك الرجة العنيفة التى تعرض لها المجتمع من العمق بحيث مست الكثير من أسس النمط المعيشى السائد ، والمسلمات التى كانت تعتبر من الحقائق البديهية التى لا مجال للشك فى صحتها. وتوالت الأسئلة حول أسباب

الضعف والتخلف الذى أصاب الشرق الذى كان مهدا للحضارات ، وسر تقدم أوربا وقوتها ، وكيفية التعامل مع الثقافة الغربية. وإمكانية الإصلاح إما عن طريق العلم أو عن طريق الدين ، وكيفية التصرف تجاه النظام السياسى السائد ، والخلافة الإسلامية ، والثقافة الدينية. والموقف الذى ينبغى اتخاذه من المبادئ العلمانية والقيم الاجتماعية والفلسفية الأخرى التى أتى بها الغزو .[١٨] وكان التساؤل عن الدور الذى لعبته النظم الاجتماعية السائدة فى تخلف الشرق وفى تقدم الغرب. وعن طبيعة مقاييس التقدم والتخلف، وعن إمكانية وجود مقاييس أو دلائل أخرى بخلاف الدليل الذى كان ماثلا للمجتمع بقوة وعنف وهو مقياس القوة العسكرية.

قد يبدو لأول وهلة – وخصوصا فى ضوء المستوى التعليمى المتدنى لغالبية أفراد الشعب– أن تلك التساؤلات قد انبثقت من أوساط الفئة المثقفة فى المجتمع المصرى ، وأن طرحها ومحاولة إيجاد الإجابات المناسبة لها إنما يعود الفضل فيه للعلماء فقط. وأن خيارات الانفتاح على الحضارة الغربية ، أو رفضها واللوذ بالتراث إنما تعكس تيارات فكرية نشأت بعيدا عن الشارع المصرى ، وكمحصلة للحوار الفكرى بين العلماء ورجال الدين ، أونتيجة للمحاولات التى بذلوها لصياغة مشروع قومى يستهدف مواجهة التحدى الخارجى. إلا أن الحقيقة – كما تظهر واضحة فى الكتابات التاريخية – هى أن تلك التيارات لم تظهر فى تلك الحقبة كأفكار فلسفية مجردة ، أو معضلات ذهنية ، بل برزت بصورة عفوية تلقائية بين صفوف الشعب المصرى بجميع فئاته ، وعلى هيئة تصرفات فردية وأنماط سلوكية عكست محاولات رجل الشارع للتعامل مع الأمر الواقع الذى وجده مفروضا عليه فحاول أن يتحسس الطرق إلى مواجهته ، وأن يلتمس الحلول العلمية التى تمكنه من التعايش مع الظروف المعيشية التى نتجت من وجوده ، وذلك بدون أى معونة أو توجيه فعال من قياداته التى خذلته ، وفرضت عليه العزلة والجهل ، ثم فشلت بعد ذلك فى حمايته. فكان البديل الذى اختاره بعض الأفراد هو الإحتماء بالتراث ، ومواجهة الغزو من خلال رفض كل ما جاء به الغزاة ، إيمانا منهم بأن التراث – كما أكد بعض علماء الدين لنابليون – " بقى محتويا على كل المعارف " بما فى ذلك كيفية صناعة المدافع .[١٩] بينما كان البديل الذى اختاره البعض الآخر هو الانفتاح على الحضارة الفرنسية الوافدة وتقبل العادات الغربية مثل " تبرج النساء واختلاطهم بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغناء والشرب ".[٢٠]

كان الفشل فى مواجهة التحدى الأجنبى وفى تطوير صيغة مناسبة للتوفيق بين القديم والجديد ، إذن ، هو فشل القادة قبل أن يكون فشل العامة. لم تغب تلك الحقيقة عن نابليون ، فقد فطن إليها وسجل مشاعره تجاه الشعب المصرى ، وتجاه قادته بوضوح ، وفى أكثر من مناسبة. فقد عبر عن دهشته – فى مكاتباته مع باريس – لدى غنى مصر من ناحية ، وبؤس

وفقر شعبها من ناحية أخرى [٢١] ، وعن مشاعره السلبية تجاه قياداتها الفكرية التى وصفها بأنها عاجزة ، وتوحى بالتعصب. [٢٢] أما عن مشاعره تجاه عامة الشعب ، فهناك من الدلائل ما يشير إلى أنها كانت إيجابية إلى حد كبير ، فقد وصف مصر بأنها " أهم بلد فى العالم " [٢٣] ، وكتب عنها للحكومة بباريس قائلا " إن هذه الأمة تختلف كل الاختلاف عن الفكرة التى أخذناها عنها من رحالتنا. إنها أمة هادئة باسلة معتزة بنفسها " [٢٤] وكان يحلم كما - أكد فى منفاه الأخير فى جزيرة سانت هيلانه - بما " يمكن عمله فى هذا البلد الجميل خلال خمسين عاما من الرخاء والحكم الصالح ". [٢٥]

لم تتمكن المجتمعات العربية حتى يومنا هذا - وبعد مرور ما يقرب من قرنين على صدمة الغزو الفرنسى - من صياغة ردود حاسمة على التساؤلات التى فرضت نفسها على الساحة منذ عام ١٧٩٨ ، أو من الاتفاق على خطة للنهضة القومية تتقبلها الغالبية وتسعى نحو إنجازها ، وتعمل فى سبيل تحقيق أهدافها. ولازلنا حتى الوقت الحاضر - كما يوضح أحد الكتاب - " نشهد فى الثقافة العربية صراعا بين قيم الانفتاح على الحضارات الأخرى وقيم الأنغلاق والعودة - كردة فعل - إلى الأصول كما يتجلى فى نزعات السلفية والاصولية الدينية والماضوية"[٢٦] ولا زلنا نبحث عن صيغة مناسبة لـ " دمج التراث العربى القديم فى حياتنا المعاصرة " [٢٧] ، ونسعى نحو تحقيق هدف " الجمع بين الأصالة والمعاصرة " [٢٨] ، بصورة تضمن لنا أن " ينسكب حاضرنا فى ماضينا انسكابا لا يعرقل سيرنا ". [٢٩]

مرت اليابان بعد حوالى نصف قرن من الغزو الفرنسى لمصر بتجربة مشابهة للتجربة المصرية ، وذلك عندما وصلت سفن الاسطول الامريكى بقيادة الكومودور ماثيو بيرى إلى خليج بيدو على الساحل اليابانى عام ١٨٥٣ ، ووجدت اليابان نفسها تواجه السلاح الغربى الحديث بأسلحة ما قبل الثورة الصناعية . [٣٠] كان نجاح تلك السفن فى اختراق الدفاعات اليابانية وتدمير جدار العزلة التى كان حكام اليابان قد فرضوها على مجتمعهم بغرض حمايته من النفوذ الأجنبى هو أوضح دليل على فداحة ثمن تلك العزلة . فقد فشل نظام التوكوجاوا الانعزالى فى التصدى للتحدى الغربى والدفاع عن اليابان ، تماما كما فشل نظام المماليك الانعزالى قبله فى الدفاع عن مصر والتصدى للغزو الفرنسى . وكان ذلك الحدث « بمثابة الصدمة الحضارية التى حفزت العقل اليابانى إلى التصدى لهذا التحدى الجديد .» [٣١] وبدأت تتوالى الأسئلة فى المجتمع حول أسباب الضعف فيه وأسباب قوة الغرب وتفوقه وحول أنسب الطرق للتعامل مع الغرب وثقافته الاجتماعية وإنجازاته العلمية والتكنولوجية .

وعلى الرغم من التشابه الواضح بين الحدثين ، إلا أن النتائج التى ترتبت على كل منهما قد جاءت مختلفة كل الاختلاف . فقد أفاقت اليابان من صدمتها بسرعة ، ونجحت فى تطوير

صيغة فعالة لمواجهة التحدى الغربى ، وجندت طاقات المجتمع تحت شعار « التكنولوجيا الغربية والروح اليابانية » [٣٢] ، وبدأت تسير بخطى ثابتة نحو هدف النهضة القومية . وأصبحت اليابان-كما يتأكد لنا يوميا من متابعة إنجازاتها المتوالية والتى لا تكاد تتوقف - من أكثر الدول تقدما فى العالم . ففى عام ١٩٨٦ مثلا أصبحت اليابان - وهى الدولة التى لا تكاد تملك أية ثروات طبيعية تستحق الذكر أكبر دولة دائنة بالعالم [٣٣] ، وفى عام ١٩٨٧ صارت قيمة الأسهم المتداولة فى سوق الأوراق المالية فى طوكيو أكبر من قيمة مثيلاتها فى بورصـات نيويورك [٣٤]، وفى عام ١٩٩٠ نجحت اليابان فى أن تكون ثالث دولة فى العالم بعد الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية ترسل سفينة فضاء إلى القمر . [٣٥] ولم يعد التفوق اليابانى فى مختلف مجالات العلم والاقتصاد والصناعة والتكنولوجيا بحاجة إلى تدليل أو إثبات .

وعلى الرغم من أن حركات الإصلاح فى العالم العربى قد أدركت منذ البداية أن التوصل إلى صيغة للتوفيق بين القديم والحديث ، أو بين التراث الشرقى والعلم الغربى ، يشكل القاعدة الأساسية لأى مشروع للنهضة القومية ، وتبنت منذ فترة مبكرة شعارات تعبر عن أهداف مشابهة للأهداف التى يعبر عنها الشعار الذى رفعته حركات الإصلاح اليابانية ، إلا أن العالم العربى لم يتمكن بعد من ترجمة المبادئ والأسس التى توحى بها تلك الشعارات إلى خطط عمل محددة أو إلى خطوات واضحة تتفق على أهمية اتباعها الغالبية من سكانه ، وتمكن المجتمعات العربية من تجنيد طاقاتها الفعالة وتوجيهها لتحقيق هدف التقدم المنشود . ولا زالت مشكلة الثنائية التى تعبر عنها شعارات مثل شعار « الأصالة والتجديد » [٣٦] تشكل أشد المشكلات تعقيدا وأعسرها حلا فى العالم العربى .

فما هى الأسباب التى أدت إلى ذلك ، ولماذا سبقتنا اليابان فى جميع المجالات « على الرغم من أن عملية التحديث بدأت متأخرة نسبيا فى اليابان مقارنة مع بدايات النهضة العربية ؟ ولماذا تعثرت عملية التحديث والنهضة فى الوطن العربى ولم تبلغ ما بلغته اليابان ؟ هل ثمة عوامل أخرى متميزة فى التجربة اليابانية ؟ وهل تمثل التجربة اليابانية ظاهرة تاريخية فريدة ومتميزة ولا يمكن مقارنتها بالتجربة العربية ؟ وهل هناك مجال للمقارنة ؟ وماهى أوجه التلاقى والتعارض بين التجربتين ؟ » [٣٧] .

لا شك فى أن محاولة الإجابة على تلك الأسئلة ليست بالأمر اليسير. فنحن هنا بصدد عدة ظواهر معقدة ومتشابكة ، تتداخل فيها مجموعات عديدة من المتغيرات التاريخية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والجغرافية ، والاقتصادية. [٣٨] ومما يزيد الأمر تعقيدا أن صعوبة اللغة اليابانية قد أدت إلى ندرة الابحاث المتوفرة للباحث العربى الذى يحاول التصدى للإجابة عليها. وعلى الرغم من تلك الصعوبات فإن ذلك لا يقلل من أهمية دراسة المجتمع اليابانى

ومحاولة التوصل إلى إجابات لتلك التساؤلات ، وخاصة و أن التفوق الذى حققته التكنولوجيا اليابانية على التكنولجيا الاوربية والامريكية فى العديد من المجالات قد لفت أنظار الباحثين الغربيين إلى أهمية دراسة المجتمع اليابانى للتعرف على اسباب ذلك التفوق وتحديد اكثر الوسائل ملاءمة لمواجهته والتغلب عليه ، وبدأت نتيجة لذلك تتوفر لدينا كميات متزايدة من الابحـــاث المكتـــوبة بلـــغات غـــير اللغة اليابانية ، مما يســـهل مهمـــة البـــاحث فـــى الوطن العربى إلى حد ما.

ثانيا : أهمية التجربة اليابانية للوطن العربى

إن أى مشروع للنهضة القومية لابد أن يستند أساسا على قاعدة متينة من السمات الثقافية الفريدة التى يتميز بها المجتمع الذى يود تطبيقه. ذلك هو المطلب الأولى ، ونقطة البداية التى لا سبيل إلى تخطيها. فليس بإمكان أى مجتمع أن يتخطى الصعوبات المرتبطة بصياغة مشروع قومى للنهضة عن طريق نقل مشروع طبق بنجاح فى مجتمع آخر ، مهما بلغت درجة التشابه بين المجتمعين. لذا فإن دراسة مشروع قومى حقق درجة كبيرة من النجاح لا ينبثق من قناعة بإمكانية العثور على نموذج يمكن نقله بحذافيره ، ولا يقصد به الإيحاء بوجود مثل ذلك النموذج. إنما الهدف من الدراسة هو التعرف على أوجه الشبه والاختلاف ، وعلى عوامل نجاح المشروع ، وإمكانية تطويع بعض تلك العوامل ، وإعادة صياغتها بشكل يتناسب مع الهوية القومية والشخصية الثقافية للمجتمع الناقل. وترجع أهمية دراسة التجربة اليابانية فى التحديث إلى أربعة عوامل رئيسية هى:

(أ) أن تحديث المجتمع اليابانى لم يجئ كمحصلة لتطورات تاريخية ، وإجتماعية فريدة لايمكن تكررها ، بل كرد فعل لظروف التحدى الغربى ، وكنتيجة لخطة استهدفت التصدى لذلك التحدى من خلال مجهودات متعمدة ومقصودة ، تهدف إلى إحداث تغيرات شاملة فى الهيكل الاجتماعى والانتقال به إلى مرحلة التصنيع. وهو بذلك يشكل نموذجا يمكن دراسته بغرض تحديد العوامل والآليات التى ساهمت فى نجاحه ، وإمكانية استخلاص بعض الدروس التى قد يكون بإمكاننا الاستفادة منها فى الوطن العربى. بينما أن النهضة الأوربية – وهى النموذج الذى تركز عليه الكثير من الدراسات فى حقل التغير الاجتماعى – لا تمثل خطة متعمدة للتغيير، بل تعكس تطورات دينية وثقافية واجتماعية داخلية، حدثت بطريقة تلقائية وتدريجية، وفى ظل ظروف تاريخية دولية فريدة لا يمكن تكرارها. ففساد الكنيسة فى أوربا الذى أفرز حركات الإصلاح البروتستانتى وما صاحبه من انتشار أخلاقيات العمل والادخار التى أشار إليها فيبر فى دراسته المعروفة [٣٩] ، وحركة التنوير وما نتج عنها من قيم اجتماعية ترفض المسلمات الثابتة

وتشجع العلوم والبحث العلمى ، وتنص على الفصل بين الدولة والكنيسة ، ووجود ظروف سمحت بتكوين المستعمرات وتحويل غالبية دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية إلى مجرد مصادر للمواد الخام الرخيصة وأسواق مضمونة للمنتجات الصناعية ، كانت كلها من العوامل التى ساهمت فى توطيد دعائم الثورة الصناعية فى أوروبا. لذا فإن خصوصية التجربة الغربية فى التصنيع وفرادة العوامل التى جعلتها تجربة ناجحة ، تجعل من الصعب اتخاذها كنموذج يمكن الاقتداء به فى الوطن العربى. بينما أن الظروف التى صاحبت التجربة اليابانية كانت أقرب إلى ظروفنا فى بعض جوانبها.

(ب) أن التجربة اليابانية – بالرغم من سمات التغريب المتعمد والتطوير الشامل لجميع جوانب الحياة فى المجتمع التى تميزت بها – لم تهدف إلى بتر شجرة التراث اليابانية من جذورها ، أو اقتلاعها وزراعة شجرة أجنبية المنشأ فى مكانها. بل هو تغيير كان يهدف أولا وقبل كل شئ إلى المحافظة على تلك الشجرة ، وعلى الذات اليابانية ، وعلى إحياء شجرة التراث هذه من خلال الخروج بها من حالة السكون والسرمدية إلى حالة التغير والدينامية ، وجعل الثقافة المحلية أداة ينتفع بها المجتمع فى مواجهة مشكلات العصر بدلا من أن تكون طوقا يمنعه من الحركة ومن الاستجابة للظروف المتغيرة ومقتضيات العصروتحدياته.

(جـ) أن المجتمع الياباني قد تمكن من تحقيق كل ما سعى إلى تحقيقه من تجديد ثقافى وتصنيع وتحديث شامل لجميع جوانب الحياة الاجتماعية فى خلال فترة زمنية وجيزة للغاية.

ثالثا : الإطار النظرى للتحليل

بالرغم من بساطة السؤال الذى يطرحه البحث الحالى : لماذا تقدمت اليابان ؟ إلا أن ذلك لا ينم بأى شكل من الأشكال عن بساطة أو سهولة الإجابة عليه. لذا فيبدو لنا أن نقطة البداية فى محاولتنا للبحث عن إجابة تكمن فى تضييق الدائرة التى تحتوى السؤال نفسه بشكل يرفع من احتمالات التوفيق فى التوصل إلى إجابة مقنعة حتى إن لم تكن وافية أو شاملة. بإمكاننا تحقيق تلك المهمة من خلال وضع السؤال فى قالب سوسيولوجى يربطه بأدبيات علم الاجتماع ، ويساعد على تحديد وتوضيح بعض المسلمات والفروض التى بإمكاننا الاستناد إليها، ويمدنا بخيط فكرى يمكننا أن نحاول تتبعه للتوصل إما إلى إجابة لسؤالنا المطروح ، أو على الأقل إلى تحديد الاتجاه الذى قد تقع فيه تلك الإجابة. يكون السؤال إذن – فى ضوء الاعتبارات السابقة – هو : **ما هى أهم المتغيرات الاجتماعية التى يبدو أنها لعبت دورا بارزا فى نهضة اليابان** ، ومكنت ذلك المجتمع من التصدى للتحدى الأجنبى الذى واجهه ، والتعايش مع الظروف المتغيرة ، وضمان إنجاح تجربة التحديث التى خاضها ؟

هناك عدة مستويات ممكنة للتحليل فى العلوم الاجتماعية التى تستهدف دراسة الفعل الإنسانى وتفهم أشكاله وتوضيح مظاهره المتعددة. من بين تلك المستويات [٤٠]

(أ) مستوى التحليل الذى تتميز به الدراسة فى علم النفس ، والذى يكون التركيز فيه على الشخص الفاعل بهدف تفهم إستجاباته الفردية للمؤثرات الخارجيه ، وتوضيح كيفية تأثير تلك المؤثرات على سلوكه. [٤١]

(ب) المستوى التحليلى الذى يكون التركيز فيه على عملية التفاعل ذاتها ، ويستهدف محاولة الربط بين الفرد وخبراته وسلوكه فى نطاق الجماعة من جانب ، وبين السياق الاجتماعى الذى يتم فيه ذلك السلوك من جانب آخر. وذلك هو ما تتصف به عادة دراسات علم النفس الاجتماعى ، وخاصة تلك التى تعنى منها بدراسة ديناميات الجماعة. [٤٢]

(جـ) مستوى اتخاذ الجماعة الاجتماعية كوحدة التحليل الأساسية ، والذى يوحى به تعريف دوركايم للحقائق الاجتماعية ، وتتميز به أبحاث علم الاجتماع المعاصر. [٤٣]

(د) المستوى الذى تتميز به الدراسات الانثروبولوچية ، والذى يدور عادة فى نطاق ما عرفه بارسونز بأنه الجانب الثقافى فى الفعل الإنسانى ، ويتضمن كل ما يشتمل عليه ذلك الجانب من رموز ، ونماذج ، وأنساق للتعامل ، وأنماط للسلوك [٤٤] .

وبما أن اهتمامات البحث الحالى تتوجه أساسا نحو محاولة تحديد بعض الملامح الاجتماعية أو الثقافية البارزة التى اتصلت بظاهرة التحديث اليابانية ، فإن ذلك يضعنا فى دائرة المستويين الثالث والرابع . يمكننا بناء على ذلك إعادة صياغة سؤالنا بالصورة التالية :

ما هى ابرز الحقائق الاجتماعية ، والسمات المميزة لكل من النسقين الاجتماعى والثقافى التى ارتبطت بشكل أو بآخر برسم خطة ، أو بتنفيذ ، أو بضمان نجاح حركة التحديث اليابانية ؟

تبدأ محاولتنا للإجابة على السؤال السابق بافتراض صحة وجهة نظر مالينا وسكى النابعة من المنهج الاستقرائى والتى ترى بأن الملاحظة يجب أن تشكل نقطة البداية ونقطة النهاية فى النظرية العلمية [٤٥] ، وبالاستناد إلى بعض المفاهيم التى يستند إليها منظور تحليل الأنساق Systems Analysis والمستمدة من نموذج التكون التشكيلى Generalized Paradigm of Morphogenesis الذى يمكن إتخاذه كوسيلة لتفهم بعض السمات التركيبية للأنساق المعقدة وآليات تطورها [٤٦] ، ثم بالارتكاز على المسلمات التالية :

(أ) أن جميع عناصر الثقافة الاجتماعية تخضع – وبدون استثناء – لقانون السببية ، وأن العمليات الإجتماعية لا تنبع من فراغ بل تجئ كنتائج وإفرازات لظروف وأحداث سبقتها [٤٧]

(ب) أن ضمان استمرارية أحد أنماط النشاط الإنسانى إنما يكمن فى ارتباطه إما بطريقة مباشرةأو غير مباشرة بإشباع إحدى الحاجات الإنسانية. (٤٨)

(جـ) أن الحافز الأساسى وراء أنماط ونماذج التفاعل الاجتماعى ، والتى تشكل فى مجموعها إطار النسق الثقافى السائد فى المجتمع يكون دائما السعى نحو تحقيق أكبر قدرممكن من الإشباع Optimization of Gratification. (٤٩)

(د) إن الواقع يتكون من أربعة عناصر رئيسية هى المجتمع (النسق الإجتماعى)، والإنسان (نسق الشخصية) ، والثقافة (النسق الثقافى)، والطبيعة (النسق العضوى). وأن كل عنصر من تلك العناصر يؤثر ويتأثر بباقى العناصر الأخرى. (٥٠)

(هـ) أن حالة التوازن بين مكونات النسق هى الحالة الطبيعية لكل واحد من تلك الأنساق. وأن تغير البيئة المحيطة بالنسق يؤدى إلى الاخلال بذلك التوازن، وأن هدف العودة الى حالة التوازن الأصلية لا يمكن تحقيقه إلا من خلال إحداث بعض التعديلات ، أو التغيرات فى واحد ، أو اكثر من مكونات النسق على نحو يكفل التكيف مع الظروف البيئية الجديدة ، ويضمن الوفاء باحتياجات النسق فى ظل الظروف التى خلقتها تلك البيئة الجديدة. (٥١)

إذا افترضنا صحة تلك المسلمات ، واعتمدنا عليها كمدخل للتفسير ، فإنه يصح لنا القول بأن صدمة الغزو الاجنبى كان هو التغير الذى طرأ على الواقع وعلى بيئة النسق الاجتماعى اليابانى ، وأن برنامج النهضة والتحديث كان هو التعديل أو التغير الذى أجراه اليابانيون بالنسق ومكوناته بهدف إعادته إلى حالة التوازن مرة آخرى. وبما أننا نعلم أن عملية التحديث كانت ناجحة ، فمعنى ذلك أن نسق التكيف الذى يشكل أحد الأنساق الفرعية والذى تم التغيير من خلاله قد استوفى شروط المرونة والحساسية تجاه البيئة المحيطة ، واحتوى على آليات أو ميكانيزمات لاستيعاب البيئة المتغيرة على نحو سليم ، وتضمن معايير انتقائية لاختيار البدائل التى تتلاءم مع الأوضاع الجديدة ، ووسائل للمحافظة على وضمان استمرارية طرائق التكيف الناجحة. (٥٢) وبشكل آخر يمكننا القول بأن النسقين الاجتماعى والثقافى اليابانيين قد تضمنا واحد أو أكثر من العوامل أو السمات التى مكنت المجتمع من :

(أ) إدراك التغير الحادث فى البيئة واستيعاب العواقب المترتبة عليه.

(ب) تقييم الوضع الجديد وتحديد البدائل المتاحة لمواجهته.

(جـ) اختيار أحد تلك البدائل كاستراتيجية تضمن التكيف مع الظروف الجديدة.

(د) ضمان حصول البديل المختار على قبول واسع بين صفوف عامة الشعب .

(هـ) خلق الظروف المناسبة وتطوير الآليات أو الميكانزمات اللازمة لضمان إنجاز المهمة بنجاح.

رابعا : عوامل النجاح فى النموذج اليابانى

١ – عامل المحاكاه ووضعه فى هيكل الثقافة الاجتماعية اليابانية

يبدو لنا أن ميل المجتمع الياباني الدائم إلى محاكاة المجتمعات والثقافات الاجتماعية الآخرى واستعداده – بل "حماسه" [٥٣] – للنقل منها بدقة ومهارة هو واحد من أهم عناصر الثقافة الاجتماعية اليابانية ومن أبرز سماتها ، وهو يشكل تبعا لذلك نقطة البداية المنطقية لمحاولة تفهم المجتمع الياباني. ومما يؤكد أهمية المحاكاة كأحد العوامل الجديرة بالدراسة تكرر الإشارة إليها فى الأبحاث التى عنيت بدراسة المجتمع الياباني وثقافته الاجتماعية ، بغض النظر عن مصدر تلك الأبحاث أو جنسية الباحث الذى أجراها. فقد ركزت تلك الصفة فى دراسات قام بها كتاب من مجتمعات عربية [٥٤] ، ودراسات قام بها كتاب من الولايات المتحدة الامريكية [٥٥] ، ودراسات قام بها كتاب من أصل صينى [٥٦] ، ودراسات قام بها كتاب من اليابان ذاتها. [٥٧] بإمكاننا بناء على ذلك أن نفترض أن المحاكاة كانت إحدى الوسائل الرئيسية التى لجأ المجتمع الياباني إلى توظيفها لمواجهة الظروف المتغيرة والتحديات الخارجية ومحاولة التغلب عليها ، وأنها قد لعبت دورا فى إنجاز الخمس مهمات الموضحة أعلاه.

لا يعنى ذلك أن المحاكاة هى صفة ينفرد بها المجتمع الياباني دون المجتمعات الآخرى فى العالم ، فقد تنبهت العلوم الاجتماعية منذ فترة مبكرة فى تاريخها إلى ظاهرة المحاكاة ، وإلى الدور الهام الذى تلعبه فى التغير الاجتماعى بشكل عام. فقد أشار ابن خلدون منذ خمسة قرون مضت إلى "أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره ، وزيه ، ونحلته ، وسائر أحواله وعوائده." [٥٨] وإهتمت الأبحاث المعاصرة بتدارس الدور الذى يلعبه الإنتشار الثقافى Cultural Diffusion والتثاقف Acculturation فى التغير الاجتماعى. بل إن بعض الدراسات ترى بأن الانتشار الثقافى هو أهم مصدر من مصادر التغير الإجتماعى على الإطلاق ، [٥٩] وأن مالايقل عن تسعين بالمائة من محتويات أى ثقافة إجتماعية لأى مجتمع بالعالم منقول عن ثقافات اجتماعية أخرى. [٦٠]

تكون المحاكاة عادة (ولكن ليس دائما) إحدى نتائج غزو مجتمع لآخر واتجاه الثقافة الاجتماعية للمجتمع المغلوب إلى اتخاذ الثقافة الاجتماعية للمجتمع الغالب كمعيار أو نموذج يقوم بمحاكاته. ويتميز أسلوب المحاكاة اليابانى بعدة صفات فريدة وجديرة بالملاحظة. فمن أهم تلك الصفات ما يلى:

(أ) أن الحماس الشديد الذى يبديه اليابانيون لمحاكاة المجتمعات الأخرى – والذى أشارت إليه الدراسات السابقة الذكر – لم يكن إستراتيجية جديدة لجأ اليها الشعب الياباني عندما واجه التحدي الغربى فى القرن التاسع عشر. بل هو صلة متأصلة فى ثقافته الاجتماعية ، ولها جذور عميقة فى تاريخه. وقد أشارت بعض الأبحاث التى عنيت بدراسة المجتمع الياباني إلى حادثة معروفة للتدليل على استعداد ذلك المجتمع – ليس فقط للتعلم من المجتمعات الأجنبية واكتساب الخبرات منها – بل أيضا على النقل بمهارة ودقة تدعو إلى الدهشة. تلك الحادثة هى حادثة غرق إحدى السفن البرتغالية بالقرب من الساحل الياباني فى عام ١٥٤٣ ، ونجاح بعض بحارة تلك السفينة في النجاة بحياتهم والوصول إلى شواطئ جزيرة تانيجاشيما المنعزلة. كان رسو طاقم السفينة المنكوبة على شواطئ الجزيرة من الأحداث الفريدة في تاريخ تلك الجزيرة. فقد كان ذلك هو أول اتصال يتم بين أوروبا وسكان الجزيرة التى لم يكن قد سبق لهم مقابلة أى من سكان تلك القارة. قام اليابانيون بمساعدة البحارة وتقديم الطعام والشراب إليهم وإيوائهم لحين إيجاد وسيلة لإعادتهم لبلادهم ، أو لإحدى سفن أسطولهم. لم يكن لدى البحارة أية وسيلة للتعبير عن شكرهم أو رد الجميل سوي تقديم بعض الأسلحة النارية التى كانت بحوزتهم كهدايا للسكان الذين لم يكن قد سبق لهم رؤية ذلك النوع من السلاح. وتصادف أن عاد أحد بحارة السفينة الغارقة إلى نفس الجزيرة بعد حوالى ثلاثين عاما من مغادرته لها مع زملائه ، فوجد – لشدة دهشته – أن السكان لم يكتفوا بإستعمال الأسلحة التى كان البحارة قد أهدوها لهم ، بل قاموا بتفكيكها والتعرف على أجزائها ، ثم نسخ تلك الأجزاء بأقصي درجات الدقة والإتقان ، وأن أهالى الجزيرة قد سلحوا أنفسهم بحوالى عشرين ألف قطعة سلاح نارى تم تصنيعها بالكامل محليا.

(ب) أن المحاكاة لم تجئ بأى حال من الأحوال – كما قد يتبادر إلى الذهن – كنتاج لشعور بالدونية تجاه المجتمعات الأخرى ، أو كتعبير عن عقدة نقص يحس بها الياباني تجاه الثقافات الاجتماعية الأجنبية. بل إن العكس تماما هو الصحيح. فالياباني يشعر بقدر من الإعتزاز بثقافته وبمجتمعه ، قد تصل درجته أحيانا إلى الاستعلاء على الثقافات الأخرى ، بل إلى حد العنصرية فى بعض الحالات. وتعد معاملة المجتمع الياباني للأقلية الكورية المقيمة فيه من أبرز الأمثلة الدالة على ذلك الاستعلاء. (٦١)

(جـ) أن اسلوب المحاكاةاليابانى لا يقوم على مجرد التقليد الأعمى بدون أسس أو ضوابط أو اهداف. فهناك الكثير من الشواهد التي توحى بأن عمليات النقل والاقتباس من المجتمعات الأجنبية قد اتسمت دائما بقدر كبير من الانتقائية ، وذلك على الرغم من أنها

لم تنحصر فى دائرة صغيرة بل اتسعت لتشمل جميع نواحى الحياة الاجتماعية. فقد كانت اليابان لا تنقل إلا ما يناسبها من نظم أو مؤسسات أو افكار [٦٢]

(د) أن جميع النماذج الاجتماعية والأنماط الثقافية المنقولة من ثقافات أخرى تخضع فى البداية ، وقبل أن يتبناها المجتمع ، لسلسلة طويلة من عمليات التغيير ، والتعديل، والتطوير. تخرج جميع الأنماط والنماذج المستعارة بعد تعرضها لتلك العمليات مكسوة بثوب ياباني خالص ، وبشكل يتلافى إمكانية التضارب أو التناقض بين عناصرها وعناصر الثقافة المحلية ، ويضمن تحقيق الأهداف المرجوة من اقتباسها. [٦٣]

كانت الحضارة الصينية المجاورة محل اهتمام اليابان فى الماضى. فقد كانت الصين من أكثر المجتمعات تقدما فى العالم وكان لها مركز حضارى مرموق ، إرتكز على قاعدة متينة من الإنجازات فى شتى نواحى الصناعة والعلم والمعرفة والثقافة. استفادت اليابان كثيرا من الثمار التى أنتجتها تلك الحضارة المزدهرة ونقلت العديد من الأنماط الثقافية الصينية ، بمحض اختيارها. فبالرغم من أن الصين لم تقم بغزو اليابان ، إلا أن سعة نطاق الإستعارة والنقل الثقافى من الصين هو من أهم ما تميزت به الفترة الواقعة ما بين القرنين الخامس والثاني عشر. [٦٤] بدأ النقل من الصين بصورة منظمة ومدروسة فى عهد الأمير شوتوكو الذى قام بإرسال بعثة لدراسة إنجازات الحضارة الصينية وكيفية الاستفادة منها، ونقلت اليابان العديد من المؤسسات الاجتماعية الصينية والنظم السياسية، والاقتصادية، والقانونية، والتعليمية. [٦٥]

تبنت اليابان الديانة البوذية والفلسفة الكونفيوشية فى فترة مبكرة من تاريخها.[٦٦] وعلى الرغم من أن البوذية قد جاءت إلى اليابان عن طريق كوريا فى القرن السادس [٦٧] ، إلا أن دمجها في الثقافة الاجتماعية اليابانية قد تم من خلال منظور ثقافى ، أو فلتر ثقافى صيني [٦٨] نقلت اليابان بعد ذلك نظام تانج الإمبراطوري للإدارة فى عام ٦٤٦ [٦٩] ، كما قامت باقتباس الكثير من حروف الكتابة الصينية [٧٠] ، والعديد من المفاهيم والأطر الثقافية وأشكال الأدب والفنون كفن الخط [٧١] ، والقيم الاجتماعية كقيم احترام السلطة [٧٢] ، وطاعة الأبوين. [٧٣] وعلى الرغم من اتساع عملية النقل هذه وامتدادها لتشمل جميع جوانب المجتمع وثقافته ، إلا أنها لم تشكل مجرد عملية نسخ. فقد خضعت جميع العناصر المنقولة – وبدون استثناء – للتغيير والتعديل والتطوير بغية صبغها بصبغة يابانية ، وصهرها فى قالب محلى ياباني أصيل يتناسب مع خصوصية الثقافة اليابانية ، وخصوصيات المجتمع الياباني. فحتى الأساطير ذات الأصل المشترك بين الصين واليابان [٧٤] ، والتى يرجح العلماء أن مصدرها الأصلى كان فى الصين قد أصبحت تفاصيلها المتداولة فى اليابان تعكس الشخصية اليابانية وتعبر عن نسقها القيمي. [٧٥]

استمرت اليابان متفتحة على الحضارة الصينية طوال فترة ازدهار تلك الحضارة ، وحتى بدأت تتغير المعادلة الجيوسياسية بشكل جذرى فى القرن السادس عشر. كان العامل الجديد الذى أدى إلى ذلك التغير هو بداية خروج أوروبا من العصور المظلمة التى استمرت ما يقرب من عشرة قرون ، ودخولها إلى عصر التجارة والاكتشافات البحرية. كان من بين علامات تغير الظروف الدولية وصول الأساطيل الحربية والسفن التجارية البريطانية والإسبانية والهولندية والبرتغالية إلى شواطئ شرق أسيا لتأسيس المراكز التجارية وتوطيد النفوذ الأوربى بالمنطقة.

لم يكن مغزى إنشاء المراكز التجارية على السواحل الآسيوية غائبا عن ذهن القيادات اليابانية التى لاحظت التزايد السريع للنفوذ الغربى والوجود الأوروبى على السواحل الصينية القريبة ، فقد أحست بالخطر الخارجى الذى بدأ يتهدد استقلالها وحريتها فى تحديد مصيرها بالكيفية التى تناسبها. ومضت اليابان تتلمس الطرق لحماية نفسها من خطر الوقوع فريسة للأطماع الأوروبية. كانت سياسة العزلة عن العالم الخارجى هى البديل الذى اختارته القيادة اليابانية لحماية المجتمع من الخطر الجديد ، فأصدرت سلسلة من القوانين الصارمة التى استهدفت إسدال ستار محكم من العزلة علي المجتمع اليابانى. من بين أمثلة تلك القوانين قانون صدر عام ١٥٨٧ يقتضى طرد جميع البعثات التبشيرية الأوروبية التى كانت الدول الأوروبية قد شرعت فى إرسالها ، وإغلاق جميع المدارس التى افتحتها فى الجزر اليابانية [٧٦]، وقانون صدر عام ١٦٣٦ بمنع أى يابانى من السفر إلى الخارج ، وقانون صدر عام ١٦٣٩ بمنع أى شخص يحمل الجنسية البرتغالية من الإقامة فى اليابان. [٧٧] وكانت صلة اليابان الوحيدة بالعالم الخارجى فى تلك المرحلة تنحصر فى ذلك العدد البسيط من التجار الأجانب الذين سمح لهم بالإقامة فى جزيرة صغيرة فى ميناء نجازاكى. [٧٨]

على الرغم من أن شعار "نريد التكنولوجيا ولانريد الأيديولوجيا" [٧٩] لم يكن من الشعارات التى رفعتها اليابان آنذاك ، وأنه شعار معاصر يرفعه بعض الكتاب فى الوطن العربى اليوم ، إلا أن ذلك الشعار هو أدق وصف للسياسة اليابانية خلال تلك الفترة. فقد كان الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه نظام التوكوجاوا الحاكم فى اليابان فى تلك الفترة هو الاستفادة من بعض ما أنتجته الصناعة الأوربية بشكل يضمن المحافظة على العزلة الثقافية. فبالرغم من أن النظام الحاكم مثلا كان يحارب الأفكار المستوردة ويحرم على علماء اليابان دراسة العلوم الغربية ، ويحكم بالإعدام على أى يابانى يتصل بالغرب أو يتبنى أيا من عاداته أو طريقة لبسه أو عقائده الدينية [٨٠] ، إلا انه كان يسمح بدراسة الكتب الطبية الهولندية [٨١] ، وبالرغم من حظير دخول جميع السلع الأوربية إلى البلاد ، إلا أن الأسلحة الأوروبية كانت مستثناة من ذلك الحظر. [٨٢]

استمرت مرحلة العزلة التى اتسمت بالجمود ورفض جميع المنتجات الثقافية المستوردة أكثر من قرنين من الزمان. [٨٣] وكان فشل الدفاعات اليابانية فى منع الأسطول الأمريكى من الرسو فى خليج بيدو هو الحدث الذى دق ناقوس الخطر فى المجتمع. فقد تأكد لليابان خطورة العزلة وفشلها كسياسة دفاعية ، عندما وجدت نفسها تواجه أسلحة القرن التاسع عشر الحديثة بأسلحة القرن السابع عشر العتيقة.

كان سلاح الانفتاح على المجتمعات المتقدمة ومحاكاتها ، والذى أثبتت الخبرةالتاريخية فعاليته فى الماضي ، هو السلاح الرئيسى الذي عادت اليابان إلى استعماله لمواجهة التحدى الغربي الذي تمثل في وصول الأسطول الأمريكى مدللا على عجز الدفاعات الساحلية ، وعلى مدى الضعف العسكرى والتأخر العلمى الذى أصاب المجتمع اليابانى خلال سنوات عزلته عن العالم الخارجى. قامت اليابان ، وبعد أقل من خمسة عشر عاما من وصول السفن الأمريكية إلى مياهها الإقليمية بالتخلص من نظام التوكوجاوا [٨٤] ، بعد أن تأكد لها عجز سياسة العزلة ، والجمود ، ومقاومة التغيير ، ومعاداة كل ما هو أجنبى من نظم أو أفكار ، عن حماية المجتمع اليابانى من أخطار الغزو الخارجى.

انتقلت مسئولية القيادةفى المجتمع إلى نظام الميجى الإصلاحى عام ١٨٦٨ [٨٥] ، وبدأ النظام الجديد على الفور فى تنفيذ "خطة تغريب شاملة" [٨٦] ومضى المجتمع اليابانى ينقل من الغرب بنفس الدرجة من الهمة ، والدقة ، والنشاط التى ميزت محاكاته للصين من قبل. وأحدثت القيادة تغيرات شاملة فى المجتمع ونظمه ومؤسساته ، وتبنت ما لا حصر له من المؤسسات الاجتماعية ، والانماط الثقافية ، والنظم السياسية ، والاقتصادية ، والقانونية، والتعليمية، واساليب الإدارة الغربية. وعلى الرغم من اتساع نطاق حركة التغريب هذه، وامتدادها لتشمل جميع نواحى الحياة اليومية ، إلا انها لم تؤد إلى ذوبان الهوية الفريدة للثقافة اليابانية، أو تحولها إلى نسخة ممسوخة للثقافات الأوروبية التي انفتح عليها المجتمع بكل مستوياته. ذلك أن التغريب – على الرغم من شموليته واتساع مداه – لم يعبر فى أى وقت من الأوقات، وأى مرحلة من المراحل عن أى نية لهجر التراث اليابانى الفريد وإحلال التراث الغربى محله. إنما العكس تماما هو الصحيح. [٨٧] فقد كان الهدف الرئيسى للحركة الإصلاحية منذ البداية هو الحفاظ على الثقافة اليابانية عن طريق تجديدها وتحديثها بأسلوب انتقائى مدروس ومتوازن وبشكل يضمن صيانتها واستمراريتها وبقاءها فى ظل الظروف المتغيرة. قام النظام الإصلاحى مثلا بهجر التقاليد العسكرية الموروثة التى كانت تعطى طبقة الساموراى حق احتكار شرف الخدمة العسكرية وتعلم الفنون الحربية ، وطبق نظام التجنيد الإجبارى المتبع فى أوروبا آنذاك، واستبدلت الأزياء العسكرية التقليدية بأزياء أوروبية حديثة. [٨٨] بالمقارنة قام نفس ذلك النظام

التقدمى بإعادة إحياء بعض المعتقدات والممارسات الدينية القديمة التى كانت شائعة قبل تبنى المذهب البوذى فى القرن السادس الميلادى ، مثل التاكيد على مبدأ ألوهية الإمبراطور الذى يعتبر ابن الشمس. [٨٩] من هنا توضح تلك الممارسات أن عملية التغريب ومحاكاة أوروبا ، قد تمت داخل نفس الإطار الذى احتوى عملية محاكاة الصين فى القرون السابقة. فقد كانت جميع النماذج الاجتماعية والانماط الثقافية الغربية المستوردة تخضع للتغيير والتعديل والتطوير بغية صبغها بصبغة يابانية وصبها فى قالب يتناسب مع الظروف المحلية ومع خصوصية المجتمع اليابانى ونسيجه الاجتماعى.

وكما أن التفوق العسكرى على الصين فى القرون السابقة كان أكبر دليل على مدى مهارة اليابان فى محاكاة الحضارة الصينية ، فإن هزيمة روسيا فى الحرب التى جرت بينها وبين اليابان خلال عامى ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ [٩٠] – وبعد أقل من نصف قرن فقط من بداية تنفيذ البرنامج الإصلاحي – كان أكبر دليل على مدى مهارة اليابان فى محاكاة أوروبا ، وعلى درجة نجاح الخطة التحديثية التى طبقها النظام السياسى الجديد. وجاء توقيع معاهدة التحالف مع بريطانيا عام ١٩٠٦ ، وقيام الحكومة البريطانية بمنح أرفع أوسمتها لإمبراطور الميجى ، من الأحداث التي دللت على الوضع الجديد الذى بدأت تحتله اليابان بين دول العالم المتقدمة ، وعلى معاملة الند للند التي بدأت تتلقاها من الدول الأوروبية التي اضطرت إلى الاعتراف بها كعضو مساو لها في نادى القوى العظمى. [٩١]

ويرى بعض علماء التاريخ – مثل أرنولد توينبى – أن برنامج التغريب الشامل الذى طبقته اليابان كان له ميزة أخرى إلى جانب الميزة الواضحة وهى ميزة ضمان قوتها العسكرية. فقد كان الحماس الظاهرى الشديد الذى أبدته اليابان – وهى ضحية الغزو – لتبنى جميع أنظمة وأنساق المعتدى الغربى مصدر حيرة لذلك المعتدى وساعدت على مطاولتها لسلاحه وعلى حماية اليابان منه. [٩٢]

استمرت اليابان في تقدمها المستمر حتى بداية الحرب العالمية الثانية. وكان التورط فى تلك الحرب، والتعرض للضرب بالقنابل الذرية، والدمار الشامل الذى لحق بالجزر اليابانية، ثم هزيمتها ورضوخها للاحتلال الأمريكى من أخطر المحن التى واجهتها اليابان فى تاريخها الطويل. واجهت اليابان تلك المحنة بنفس السلاح الذى خدمها جيدا فى الماضى. فلم ترفض الدستور الجديد الذى فرضه الغزاة عليها، والذى كان مستمدا من الدستور الأمريكى ، ولم تخرج من ميدان المواجهة بالفرار إلى الماضى أو بالذوبان في عالم الغزاة. بل أخذت الهيكل الثقافى الجديد وأقامته على أسس محلية، وطبقت النظام السياسى الأجنبي الذى فرض عليها بأسلوبها الثقافى الفريد. وتقبلت جميع التغيرات الأخرى التى فرضت عليها، وبدأت مرحلة جديدة من المحاكاة إستهدفت محاكاة المجتمع الأمريكى ، ونظمه ، وأنساقه ، ومنتجاته.

كانت البداية متواضعة ، وكان تقليد الصناعة الأوربية والأمريكية بكل دقة وإمعان هو أقصى ما تستطيع الصناعة المحلية أن تصبو إلى تحقيقه فى تلك المرحلة. وقد يتذكر بعض قراء هذه السطور – كمثال لتلك البداية المتواضعة – أقلام الحبر المزورة من ماركة باركر التى كانت اليابان تصدرها إلى الأسواق العربية في الخمسينات ، وتبيعها بأقل الأسعار. تم الانتقال بسرعة من تلك المرحلة إلى مراحل أكثر تطورا وهى مراحل صناعة السلع الأكثر تعقيدا كالسيارات والأجهزة والمعدات الإلكترونية. أصبحت السلع اليابانية اليوم تنافس السلع الأمريكية على كل المستويات ، وتتفوق عليها حتى فى السوق الداخلية الأمريكية. وتم استيعاب المعرفة الفنية الغربية والتكنولوجيا المتقدمة خلال كل تلك المراحل ، بالاعتماد على الإستراتيجية المسماه بالهندسة المرتدة Reverse Engineering ، وهى عملية تفكيك السلع والمنتجات الصناعية للتعرف على مكوناتها وتحديد مواصفات المواد الأولية الداخلة في ذلك التكوين .(٩٣)

٢ – عامل الوفاق وأسس العلاقات الاجتماعية فى المجتمع اليابانى

يتضح مما تقدم أن المحاكاة هى أحد الخيوط المتصلة في الثقافة الاجتماعية اليابانية ، وأنها من بين الخصائص المميزة التى تساعد على إكساب تلك الثقافة سمة المرونة اللازمة للتعايش مع الظروف المتغيرة. وأن عملية نقل العلوم والتكنولوجيا الأوروبية والأمريكية ، وهى العملية التى شكلت الأساس الذى أقيمت عليه النهضة اليابانية الحديثة لم يكن وليد الصدفة ، بل أنبثق من اتجاه متأصل فى الثقافة الاجتماعية اليابانية للنقل عن المجتمعات المتقدمة عليها ، بدون خوف من الغزو الثقافى أو شعور بالضعف تجاه الافكار والمفاهيم المستوردة ، ومع الحرص الشديد فى نفس الوقت على صبغ كل ما ينقل بصبغة خاصة مستمدة من تراثها الثقافى الفريد.

وعلى الرغم من أهمية ذلك الدور المحورى الذى لعبته المحاكاة كإحدى آليات التكيف في النسق الاجتماعى اليابانى إلا أنها – وشأنها فى ذلك شأن أى ظاهرة إجتماعية أخرى– ظاهرة تتسم بالتعقيد والتشابك ، ويتطلب نجاحها وجود عوامل أخرى متعددة ، والوفاء بمتطلبات مختلفة ، وتوافر ظروف معينة.

وكان التجانس الإجتماعي والشعور بالأستقرار والاستمرارية من بين تلك العوامل التى ساعدت على توفير المناخ الملائم ، ليس فقط للبدء فى عملية النقل على نطاق واسع من المجتمعات الاخرى ، بل أيضا لإتمام تلك العملية بنجاح. فمما لا شك فيه أن البقاء والاستمرارية للنسق الاجتماعى يتطلب توفير شرط المرونة الممكن تحقيقه من خلال عمليات التغير الاجتماعى. إلا أن ذلك البقاء يتطلب أيضا عوامل تحقق للنسق ظروف الثبات والاستقرار والشعور بالديمومة. لذا فإن النجاح فى توليف صيغة تجمع بين أمرين متضادين هما الثبات والتغير ، أو الحركة والسكون ، هو أحد المتطلبات الأساسية لضمان بقاء النسق.

يتحقق شرط الثبات للنسق الياباني من خلال عدة سبل ، من بينها الوفاق الاجتماعي الذي يستند إلى قاعدة راسخة من ثبات الهوية ووضوح أسس العلاقات الاجتماعية بين أعضاء المجتمع. فالهوية – كأحد الثوابت في المجتمع – تشكل إحدي القواعد السيكولوجية التي يرتكز عليها الإنسان في مواجهة التغير في البيئة المحيطة به ، وهي أحد عناصر التواصل والاستمرارية التي تحقق للفرد شرط الشعور بالثقة بنفسه وبثقافته الاجتماعية وبتراثه، وتمكنه بناء على ذلك من تقبل التغيرات الاجتماعية التي لابد من إجرائها لضمان ديمومة ذلك التراث وتلك الثقافة. وتتكون الهوية – كما يوضح أحد الباحثين – من عناصر « رمزية وروحية وحضارية جماعية ، تعطي الفرد إحساسا بالانتماء إلى جسم أكبر ، وتخلق لديه الولاء والاعتزاز بهذا الجسم الأكبر» ، وتمكن المجتمع من القيام ببعض الوظائف الرئيسية كالدفاع عن أرضه وعن ذاته ، وتوفير الحاجات الأساسية لاعضائه [٩٤]. فإحساس أعضاء المجتمع بالتوحد والإندماج في جسم واحد هو من بين شروط النجاح في عملية إختيار وتحديد طريق مشترك للسير وللتغير. ذلك شرط – كما نعلم من خبرتنا في الوطن العربي – لا يمكن أخذه كأمر مفروغ منه ، أو كحتمية تتحقق في كل مجتمع بطريقة تلقائية ، وبغض النظر عن الظروف والتطورات التاريخية. فالوطن العربي يعاني – كما أظهرت بعض الأبحاث الإمبيريقية – [٩٥] من مشكلة صعوبة بلورة الهوية وتشتتها بين الهويات المتنافسة مثل الهوية الدينية ، الهوية الإقليمية، الهوية المحلية ، الهوية القبلية [٩٦]. وبالبرغم من المجهودات المستمرة التي تعكسها أبحاث مثل "الصحوة الإسلامية والمواطنة والمساواة" [٩٧] ، ومثل "الصحوة الإسلامية والثقافة المعاصرة" [٩٨] ، ومثل "الصحوة الإسلامية والدولة القطرية في الوطن العربي" [٩٩] ، ومثل "الصحوة الإسلامية والقومية العربية" [١٠٠] إلا أن مشكلة الهوية لا تزال إحدى أزمات المجتمع العربي ومشكلاته التي تعقد المحاولات التي تستهدف تحقيق "الإندماج السياسي – للتكوينات الإثنية" التي يحتويها.[١٠١]

وبالمقارنة فإن المجتمع الياباني يتمتع بميزة وضوح الرؤية في ذلك المجال. فالهوية اليابانية تنبثق من إحساس قوى بالإنتماء إلى قبيلة واحدة كبيرة [١٠٢] ، وترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الإمبراطوري التقليدي القائم هناك ، والذي كانت حركة الميجي الإصلاحية قد تعمدت المحافظة عليه وتقويته ، لتلافي مشكلة فقدان الصلة بين ماضي المجتمع وحاضره [١٠٣] ، وإدراكا منها بمركزيته في التكوينة الثقافية اليابانية ، وبأهميته كأحد العوامل التي تساعد على ضمان ظروف الوفاق الاستقرار الاجتماعي. وهو يشكل – بناء على ذلك – أحد العناصر التي تتكون منها أطراف تلك المعادلة الناجحة التي تجمع بين التغير والثبات في آن واحد. فهناك قناعة عميقة لدى أفراد الشعب الياباني بجميع فئاته وطبقاته – كما أوضحت بعض الأبحاث–[١٠٤] بالإنتماء إلى أسرة واحدة ، وبأن أسرة الإمبراطور ابن الشمس [١٠٥] هي – حسب التقاليد الاجتماعية والدينية الموروثة – الأصل الذي تتفرع منه جميع الأسر اليابانية. أي أن الأسرة الإمبراطورية هي الوعاء الرئيسي الذي تصب فيه الهويات الفرعية الهامة. يتضمن

ذلك الوعاء قدرا من الهوية الإقليمية ، ومن الهوية الدينية ، ومن الهوية القومية ، ومن الهوية السياسية، ومن الهوية الإثنية، ومن الهوية الأسرية. ويحول انصهار كل تلك الهويات فى قالب واحد دون التنافس بينها، ويساعد على تقويتها، ويغذى الإحساس بالانتماء، وبالتماسك الاجتماعى والاستمرارية الثقافية. يشكل ذلك الشعور القوى بالانتماء والتجانس والارتباط واحدا من أهم مصادر الإستقرار الذى يتميز به المجتمع، والوفاق الذى يسود فيه، ومن أبرز سمات ذلك المزيج الفريدة بين القديم والجديد في الثقافة اليابانية.

يساعد ذلك الإحساس بثبات الهوية وعدم غموضها على تقوية التزام عضو المجتمع بالحفاظ على الروابط التى تربطه بالجماعة والحفاظ على الأسس التى تحكم علاقاته مع بقية أعضاء الجماعة ، وتحدد وضعه ومكانته فى إطار هيكلها البنائى. وقد أشارت بعض الدراسات الغربية التى عنيت ببحث المجتمع الياباني المعاصر إلى تقدمه الصناعى، وإلى تطبيقه للنظام الديمقراطى البرلمانى ، وإلى ظاهرة انتشار نظام الأسرة النووية فيه، وإلى ولع اليابان الشديد بتقليد ومحاكاة كل ما هو غربى، من ملابس وأزياء إلى موسيقي وفنون وآداب. وفسرت كل تلك الظواهر على أساس أنها من دلائل التغريب السيكولوچى والاجتماعى الشامل للمجتمع. إلا أن الحقيقة التى يوضحها البحث المتعمق هى أن ذلك التغير الواضح فى المظاهر الخارجية لا يعبر عن تغير فى الأسس الداخلية للبناء الاجتماعى، [١٠٦] ولا يعبر بصدق عن مدي سطحية ذلك التغير الطفيف الذى تم فى مجال العلاقات الاجتماعية و الضوابط التى تحكم تلك العلاقات[١٠٧] فالعلاقات الاجتماعية التقليدية "بين الأب والأبن، وبين الزوج والزوجة، وبين السيد والتابع، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين الأسرةالإمبراطورية ورعاياها" لم تتغير كثيرا. [١٠٨] والتغير الذي شهده المجتمع الياباني بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لم يكن على درجة كبيرة من العمق. فهو تغير تشبهه باحثة يابانية بالتغير فى شخصية الفرد نتيجة قيامه بخلع ملابسه الشتوية الثقيلة بعد انتهاء فصل الشتاء البارد وإستبدالها بملابس خفيفة تتلاءم مع جو الربيع المعتدل. [١٠٩]

وهناك العديد من الدلائل ما يشير – كما توضح نفس الباحثة [١١٠] – إلى أن النظم الاجتماعية والسياسية السائدة فى اليابان اليوم هى نفس تلك النظم التى ورثتها عن عهد التوكوجاوا، وأن التغيرات التى حدثت فى عهد الميچى الإصلاحى لم تكن تغيرات جذرية هيكلية. فقد كان عدم المساس بأسس النظام التقليدى القائم بالمجتمع عندئذ والاعتماد عليه كوسيلة للتجديد وكإطار طبقت الإصلاحات من خلاله، هو أحد اسباب نجاح الحركة التحديثية. أى أن وسيلة السفر نفسها – على حد تعبير الكاتبة – لم تتغير كثيرا بل ما تغير هو نوعية المسافر وإتجاه السفر. ذلك هو المغزى الحقيقى لشعار حركة الإصلاح، والترجمة العملية للمعانى التى

يتضمنها المنظور المثالى الذى يعبر عنه مصطلح Wakno-yosai الذى يعنى الروح اليابانية والمعرفة الغربية. (١١١) فسر نجاح اليابان فى تحقيق معجزتها الاقتصادية لا يكمن فى هجر القيم التقليدية وتبنى القيم الاجتماعية التى قامت عليها الثورة الصناعية فى أوروبا بل فى نجاحها فى تطويع قيمها الذاتية والمحافظة على تلك الأسس العميقة فى هيكلها الثقافي التى تنظم العلاقات الاجتماعية وتضمن استمراريتها (١١٢) ، وفى صيانة النسق القيمى المركزى الذى كان يسود اليابان قبل بداية الحركة التحديثية. (١١٣)

يعد الولاء للمجتمعات المختلفة التى ينتمى إليها الفرد ، والتفانى فى خدمتها، والاستعداد للتضحية والبذل فى سبيل حماية مصالحها والمحافظة على بقائها من أهم القيم الاجتماعية اليابانية، إن لم يكن أهمها على الإطلاق. (١١٤) وهناك مجموعة من الأسس الثابتة التى تحدد بدقة مكانة كل فرد داخل الجماعة الاجتماعية وتعرف واجباته وحقوقه تجاه أعضائها، وتضمن تحقيق هدف التآلف والإنسجام بين أعضاء الجماعة الإجتماعية الواحدة الذى يشكل أحد الأعمدة الهامة التى شيد على أساسها هيكل النسق القيمى اليابانى. (١١٥) وقد فرضت الديموقراطية ، كأحد أسس تنظيم العلاقات بين الأفراد ، على اليابان بعد هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية. (١١٦) ولم تقف اليابان موقف الرفض من ذلك المفهوم الجديد بل تقبلته . إلا أنها لم تتقبله بشروطه الغربية أو بشكله المستورد ، بل صبغته بصبغة يابانية خالصة ، واعتمدت عليه كإحدى الوسائل التى تساعدها على رسم معالم الطرق المؤدية إلى تحقيق ما تقتضيه النماذج الذاتية العليا التى تود صيانتها . لذا فإن الديمقراطية فى المجتمع اليابانى لا تمارس بمفهومها الغربى ولا تعدو عن كونها الواجهة أو الشكل الخارجى الذى يحجب النظام التقليدى للعلاقات الاجتماعية (١١٧) . فتطبيق النظام الديموقراطى بالمفهوم الغربى يستلزم الإلتزام بمبدأ المساواة التامة بين الأعضاء ، ويتطلب إعطاء الحرية شبه الكاملة لكل عضو فى الجماعة بعرض رأيه بكل ما يتراءى له من القوة أو العنف أو الوضوح ، وبدون أية حساسيات أو مجاملات ، ويشجع على الاختلاف فى الرأى ، وعلى تحييد المشاعر الشخصية واتخاذ المناقشة الموضوعية الصريحة كبوتقة لصهر الآراء المتضاربة، وكوسيلة للتوصل إلى موقف جماعى موحد تتفق غالبية أعضاء الجماعة على الالتزام به.

يتناقض ذلك الأسلوب مع الأسس التى تحكم العلاقات فى اليابان. فالتشاور الهادئ وليس النقاش الحاد هو أساس إتخاذ القرارات لديهم. (١١٨) وقواعد السلوك فى اليابان لاتسمح بتشرذم الجماعة الواحدة وانقسامها إلى فرق متعارضة متضاربة تدخل فى مناقشات عنيفة مع بعضها البعض (١١٩) ، ولا تسمح بالمساس بالتنظيم الهرمى للجماعة الذى يحدد بكل دقة ووضوح وضع كل عضو فيه على سلمها الهرمى ، والذى تعبر عنها كلمة onjo-shugi التى تعنى

الأبوة ، وترمز إلى الوضع المتميز الـــذى يحتله الرئيس داخل الجماعة الإجتماعية. (١٢٠) فقيمة طاعة السلطة والاحتماء بها هى أحدى القيم الهامة فى المجتمع ، ويعبر عنها المثل الشعبى الذى ينصح كل ياباني بأن يقف فى ظل شجرة كبيرة" (١٢١) وعلى الرغم مـــن أن الجماعة تشجع كل عضـــو فيها – مهما بلـــغ مـــن انخفاض مكانته – بالتعبير عن آرائه (١٢٢) ، إلا إنها لا تسمح بعرض تلك الآراء بشكل يجرح مشاعر رئيس المجموعة. (١٢٣) وعلى الرغم أيضا من ذلك الموقع المتميز الذي يحتله رئيس الجماعة إلا أن قواعد السلوك السائدة تحرم عليه القيام بفرض آرائه على بقية الاعضاء. (١٢٤) فالديمقراطية بمفهومها اليابانى تعنى تحقيق التآلف والانسجام بين أعضاء الجماعة الواحدة من خلال تطبيق إستراتيجية ما يسمى بـ "الحد الأقصى للتشاور" (١٢٥) التى تهدف إلى التعرف على رأى الغالبية من أعضاء الجماعة وإعتباره موقفها الموحد. متى تم تحقيق تلك المهمة تمتثل الأقلية لرأى الغالبية بدون إبداء أية تحفظات (١٢٦) لعلمها بقواعد السلوك التى تحرم على الفرد معارضة الاتجاه السائد ، أو إتخاذ موقف فردى معارض يعبر عنه باستعمال كلمات مثل "لا" أو "لا أوافق" وتتطلب نبذ كل من يتحفظ على رأى الغالبيةويهدد بذلك مشاعر الوفاق التام بين أعضاء الجماعة الواحدة. (١٢٧) وهناك مثل شعبي يعبر عن أهمية تلك القيم الجماعية (١٢٨) ويقول أن "المسمار الذى تبرز رأسه يضرب بالمطرقة". (١٢٩)

خامسا : خلاصة ونتائج

يبدو لنا – بناء على ما تقدم – أن دراسة التجربة اليابانية في التحديث تساعد على تسليط الأضواء على بعض الحقائق الهامة التى يمكن إيجازها على النحو التالى:

١ – أن الدراسة المتعمقة لأى تجربة تحديثية ناجحة ، والاستفادة منها هو أحد الإستراتيجيات التى قد تساهم في تحقيق هدف بلورة نموذج محلى أصيل للتحديث في الوطن العربي.

٢ – أن النموذج الغربى في التحديث لا يمثل النموذج الأوحد الذى لا بديل له ، ولا مفر من أتباعه لأى مجتمع يود كسر حلقة التخلف والانتقال إلى مرحلة التقدم والتصنيع.

٣ – أن الأصالة – بناء على ما تقدم – هى الشرط الأول والأساسي الذى لابد من أن يستوفيه النموذج التحديثى الناجح للمجتمع الذى ينشد التقدم والتجديد . وأنه لا توجد برامج جاهزة ومعلبة يمكن نقلها من مجتمع لأخر وتطبيقها بنجاح . فحتى إذا إجتمعت إرادة أعضاء مجتمع ما على نقل النموذج الغربى بحذافيره وتطبيقه محليا ، فإن استحالة تكرار الظروف الداخلية والعوامل الخارجية التى ساعدت على إنجاحه تجعله أحد البدائل غير المتاحة . وعلى الرغم من ذلك النجاح المنقطع النظير الذى حققه النموذج الياباني ،

إلا أنه بدوره قد انبثق من خصوصية الظروف التاريخية اليابانية ، وارتكز على قاعدة صلبة من السمات الفريدة للثقافة الاجتماعية اليابانية ونسقها القيمى ، مما يجعل إستيراده إلى مجتمع آخر أمرا غير وارد . يكون الخيار بين الأصالة والحداثة – بناء على ذلك – خياراً وهميا زائفا لا وجود له فى الواقع الإمبيريقى ، حيث أنه حتى إذا إفترضنا استعداد أعضاء المجتمع للتغاضى عن شرط الأصالة ، فإن النموذج المنقول عن مجتمع آخر لن يحقق النتائج المرجوة من تطبيقه .

٤ – أنه من بين الدروس الهامة التى بإمكاننا أن نستخلصها من النموذج الياباني هو أن الأصالة لا تتطلب الانغلاق ورفض الاستفادة بما أنتجته الحضارات الأخرى من علم ، أو تكنولوجيا ، أو مفاهيم ، أو نظم ، أو مؤسسات اجتماعية . ولا تقتضى العودة إلى الوراء ومحاولة اختراع على أسس محلية ، ماتم اختراعه بالفعل فى مجتمعات اخرى .

٥ – أن الانفتاح على المجتمعات المتقدمة والاستفادة من خبراتها فى جميع المجالات هو أسرع طريق – إن لم يكن الطريق الوحيد فى ظل الظروف الدولية المعاصرة – للتقدم والتحديث . وان عملية تصنيف النظم والأفكار والمفاهيم إلى مستورد ومحلى ، بهدف محاولة فرزها وإستئصال ما هو أجنبى منها هى – على أحسن الاحتمالات – مضيعة لوقت ثمين ، وتبديد لطاقة محدودة – وعلى أسوأ الاحتمالات – تعبير عن خوف من الدينامية والحركة والتجديد ، وعن شعور بالنقص والدونية تجاه الثقافات الاجتماعية الاخرى ، وانعكاس لفقدان الثقة بالنفس ، وبإمكانية الحفاظ على الهوية الذاتية الفريدة فى ظروف التحدى الحضارى .

معهد البحوث الدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
مكتب اتحاد الجامعات العربية

المراجع والحواشى

(١) جاسم محمد عبد الغنى ، « العرب وتجربة التحديث اليابانية » المستقبل العربى : السنة الحادية عشرة ، العدد مائة وتسعة عشر ، يناير ١٩٨٩ ، ص ٢٧ .

(٢) حسين أحمد أمين ، الاسلام فى عالم متغير ومقالات اسلامية اخرى ، القاهرة : مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨ ، ص ٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١ .

(٤) لسجل مفصل وممتع لتفاصيل الحياة اليومية فى مصر خلال تلك الحقبة التاريخية انظر : عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، القاهرة : لجنة البيان العربى ، ١٩٦٧ .

(٥) حسين أحمد أمين ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٧) Atiyah, Edward. The Arabs. Harmondsworth: Penguin, 1958, p. 73.

(٨) حسين أحمد أمين ، مصدر سابق ، ص ١١ .

(٩) المصدر السابق ، ص ١٢ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(١١) المصدر السابق ، ص ١٣ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢١ .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المصدر السابق ، ص ٦٩ .

(١٦) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(١٧) لاستعراض موجز لإصلاحات الفرنسيين فى مصر انظر المصدر السابق ، ص ٥٠ – ٥٩ .

(١٨) حليم بركات ، المجتمع العربى المعاصر ، بحث استطلاعى ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤ ، ص ٣٩٨ .

(١٩) حسين أحمد أمين ، مصدر سابق ، ص ٢٥ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٧ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٢٦) حليم بركات ، مصدر سابق ، ص ٣٥٣ .

(٢٧) زكى نجيب محمود ، تجديد الفكر العربى ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ٢٠ .

(٢٨) زكى نجيب محمود ، هذا العصر وثقافته ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٧ ، ص ٥ .

(٢٩) زكى نجيب محمود ، ثقافتنا فى مواجهة العصر ، القاهرة : دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٠ .

(٣٠) لمزيد من التفصيلات بأسلوب سلس وممتع أنظر:

Wiley, Peter Booth and Korogi Ichiro. Yankees in the Land of the Gods. New York: Viking, 1991.

(٣١) جاسم محمد عبد الغني ، مصدر سابق ، ص ٢.

(٣٢) المصدر السابق.

(٣٣) Toffler, Alvin. Powershift. NewYork: Bantam Books, 1990, P. 431.

(٣٤) المصدر السابق ، ص ١٣٤ – ٤٣٢.

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٤٣٣.

(٣٦) Berque, Jacques. "predicament and perspectives of the Arab World," in Edward Said and Fuad Suleiman (eds.) The Arabs Today: Alternatives for Tomorrow.

Columbus, Ohio: Forum Associates Inc. ,1973, p. 16

(٣٧) جاسم محمد عبد الغني ، مصدر سابق ، ص ٢٧.

(٣٨) لاستعراض سريع لبعض تلك المتغيرات أنظر المصدر السابق .

(٣٩) Weber, Max. The protestant Ethic and the Sirit of of Capitalism. New York: Scribner's, 1958.

(٤٠) Applebaum, Richard p. Theories of Social Change. Chicago: Markham, 1971, pp. 1-14.

(٤١) المصدر السابق ، ص ٢–٣.

(٤٢) المصدر السابق ، ص ٣.

(٤٣) المصدر السابق ، ص ٤–٥.

(٤٤) المصدر السابق ، ص ٥.

(٤٥) Malinowski, B. A Scientific Theory of Culture. London: Oxford University Press, 1960, p. 67.

(٤٦) Buckley, Walter. Sociology and Modern Systems Theory. Englewood Cliffs, N. J. : Prentice - Hall, 1967, pp. 62-66.

(٤٧) المصدر السابق ، ص ١٤٢.

(٤٨) المصدر السابق ، ص ٤١.

(٤٩) Parsons, T. The Social System. London: Tavistock, 1952, p.5-6.

(٥٠) Parsons, T. and Shils, E. A. Toward a General Theory of Action. Cambridge, Mass.: University press, 1951.

(٥١) Parsons, 1952, po. cit مصدر سابق.

(٥٢) Buckley , po. cit p.63 مصدر سابق ص ٦٣

(٥٣) Hsu, Francis L.K.leomoto: The Heart of Japan. New York: Schenkman,1975,p9

(٥٤) أنظر مثلا : جاسم محمد عبد الغنى ، مصدر سابق.

(٥٥) أنظر مثلا : Toffler مصدر سلبق

(٥٦) أنظر مثلا : Hsu مصدر سابق

(٥٧) أنظر مثلا :

Nakane, Che. Japanese Society. Harmondsworth: Penguin, 1973.

(٥٨) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، القاهرة: دار الشعب، د ت. ، ص ١٣٣.

(٥٩) Kroeber, A.L. "Diffusionism," in Edward Selignman and Alvin Johnson (eds.) The Encyclopedia of the Social Scienes vol. lll, 1937 pp. 139-142.

(٦٠) Murdock, George P. Our Primitive Contemporaries. New York: Macmillan, 1934.

(٦١) Newell, WilliamH "Some Problems of Integrating Minorities into Japanese Society, "Jouranal of Asian and African Studies: Vol. ll. 3-4, 1967, pp. 212-229.

أنظر أيضا:

Christopher, Robert C. The Japanese Mind. New York: Fawcett Columbine, 1983, p. 50.

(٦٢) Christopher مصدر سابق ، ص ٤٨.

(٦٣) المصدر السابق.

(٦٤) Hsu مصدر سابق ، ص x.

(٦٥) Christopher مصدر سابق، ٤٥-٤٦.

(٦٦) Hsu مصدر سابق، ص ٢٢٠.

(٦٧) Toynbee, Arnold. AStudy of History. New york: Weathervane Books, 1972, p.534.

(٦٨) Hsu مصدر سابق، ص ٢١.

(٦٩) Toynbee مصدر سابق، ص ٥٣٤.

(٧٠) Hsu مصدر سابق ، ص ١١٣.

(٧١) المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٧٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٠.

(٧٣) المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٧٤) بالرغم من صعوبة تحديد المصدر الأصلى لغالبية تلك الروايات التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة ، إلا أن تشابه موضوعاتها، أو تفاصيلها يساعد علماء التاريخ أحيانا على تكوين فكرة عن احتمالات نشأتها فى مجتمع معين أو ترجيح عدم نشأتها فى مجتمع آخر.

(٧٥) انظر مثلا أسطورة الثعبان الأبيض فى Hsu مصدر سابق، ص ١٦-٢٣.

(٧٦) Toynbee المصدر السابق ، ص ٤١١.

(٧٧) المصدر السابق.

(٧٨) Christopher المصدر السابق ، ص ٤٧.

(٧٩) فؤاد إسحق الخورى " تعقيب " تهيئة الإنسان العربى للعطاء العلمى: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان. بيروت مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٧، ص ٥٧.

(٨٠) Toynbee المصدر السابق ، ص ٤٤٠.

(٨١) المصدر السابق ، ص ٤١١.

(٨٢) المصدر السابق ، ص ٤٤٠.

(٨٣) المصدر السابق ، ص ٤٤١.

(٨٤) المصدر السابق ، ص ٤١٢.

(٨٥) المصدر السابق ، ص ٥٣٥.

(٨٦) المصدر السابق ، ص ٤١٢.

(٨٧) المصدر السابق ، ص ٤٤١.

(٨٨) المصدر السابق ، ص ٤١٣.

(٨٩) المصدر السابق ، ص ٤٤١.

(٩٠) المصدر السابق ، ص ٤١٤.

(٩١) المصدر السابق ، ص ٤٤٠.

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٤١٤ – ٤١٥.

(٩٣) فرهنك جلال وآخرون، حيازة التكنولوجيا المستوردة من أجل التنمية الصناعية: مشكلات الإستراتيجية والإدارة فى الوطن العربى ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧ ، ص ١٣١.

(٩٤) سعد الدين إبراهيم ، مستقبل المجتمع والدولة فى الوطن العربى ، عمان: منتدى الفكر العربى، ١٩٨٨ ، ص ٣٣٢.

(٩٥) عاطف العقلة عضيبات ، التنشئة الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى ، بيروت: مكتبة المنار ، ١٩٨٥.

(٩٦) المصدر السابق

انظر أيضا : سعد الدين إبراهيم ، مصدر سابق.

(٩٧) فهمى هويدى ، "الصحوة الإسلامية والمواطنة والمساواة" ، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى "عمان : منتدى الفكر العربى ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٩ – ٢١٠.

(٩٨) محمد عابد الجابرى ، "الصحوة الإسلامية والثقافة المعاصرة" ، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى "عمان : منتدى الفكر العربى ، ١٩٨٨ ، ص ٢٧٥ – ٢٨٠.

(٩٩) حسن الترابى، " الصحوة الإسلامية والدولة القطرية في الوطن العربى " ، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى " عمان: منتدى الفكر العربى ١٩٨٨ ، ص ٣٠٩ – ٣٢٦.

(١٠٠) عزت جرادات ، " الصحوة الإسلامية والقومية العربية " ، الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربى " عمان : منتدى الفكر العربى ، ١٩٨٨ ، ص ٣٥٩ – ٣٧٠.

(١٠١) سعد الدين إبراهيم، مصدر سابق ، ص ٣٣١.

(١٠٢) Christopher مصدر سابق ، ص ٥١

(١٠٣) Beling, Willard A. and George O. Totten (eds.) Developing Nations, New York : Van Nostrand Reinhold, 1970, p. 73

(١٠٤) Bellah, Robert N. Tokugawa Religion. Glencoe, Illinois: The Free press, 1957, p. 181.

(١٠٥) Christopher مصدر سابق ، ص ٤٦.

(١٠٦) Hsu مصدر سابق ، ص ١٥٠.

(١٠٧) Nakane مصدر سابق ، ص ١٤٦ – ١٥٦.

(١٠٨) Hsu مصدر سابق ، ص ١٩٧.

(١٠٩) Nakane مصدر سابق ، ص ١٥٣.

(١١٠) المصدر السابق ، ص ١١٩.

(١١١) المصدر السابق.

(١١٢) Hsu مصدر سابق ، ص ٢٠٢.

(١١٣) Bellah مصدر سابق ، ص ١٨٨ – ١٨٩.

(١١٤) Christopher مصدر سابق ، ص ٥٥.

(١١٥) Nakane مصدر سابق ، ص ٣٧.

(١١٦) لمزيد من التفصيلات انظر:

Inoue, K. MacArther's Japanese Constitution: A Linguistic and Cultural Study of Its Making. Chicago: University of Chicago press, 1991.

(١١٧) المصدر السابق ، ص ١٥١.

(١١٨) المصدر السابق ، ص ١٤٩.

(١١٩) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(١٢٠) المصدر السابق ، ص ٦٨.

(١٢١) المصدر السابق ، ص ١١٣.

(١٢٢) المصدر السابق ، ص ١٤٩.

(١٢٣) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(١٢٤) المصدر السابق ، ص ٦٨.

(١٢٥) المصدر السابق ، ص ١٤٩.

(١٢٦) المصدر السابق ، ص ٥٦.

(١٢٧) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(١٢٨) Christopher مصدر السابق ، ص ٥٢.

(١٢٩) المصدر السابق ، ص ٥٣.